دور الأسرة في التربية الجنسية للطفل

الأستاذ : بودوح محمد

أستاذ محاضر

جامعة سعد دحلب –البليدة-

الملخص :

الدافع الجنسي دافع أولي فيزيولوجي ، وهو جزء من الوراثة كمظهر من مظاهر الحياة ، ويتميز عما عداه من الدوافع الأولية بأنه أقل أهمية بالنسبة لبقاء الفرد ، حيث يمكن تأجيل إشباعه لفترات طويلة وذلك في إطار الشرعية (الزواج) ووفقا للعديد من الشروط والتي تهدف في نهاية الأمر إلى ضمان استقرار الأسرة من جهة والصحة النفسية للفرد من جهة ثانية . والدافع الجنسي يكاد يكون الدافع الوحيد الذي خضع للقواعد الصارمة والدين والأخلاق والأعراف والقانون ، حيث تكاتفت واتحدت جميع القوى ومختلف عوامل الضبط في خمد وتحديد مساره ، فتعرضت جميع ضروب وأنشطة الحياة الجنسية للتعديل والتطوير وامتزج بالحياة الاجتماعية امتزاجا يكاد يخفي طبيعته البيولوجية .

لذا تعتبر التربية الجنسية من أهم مكونات التنشئة الاجتماعية ،والتي عن طريقها يتعلم الأفراد القيم الجنسية والسلوك الاجتماعي المسموح به في إطار ثقافتهم لإشباع الدافع الجنسي .فالإنسان هو الكائن الوحيد الذي يستطيع أن يستشف في الجنس جوانب أخرى روحية من معان وأحاسيس ، وتحريم المحارم هو الأسلوب الذي يميز أداء المؤسسات الإنسانية عن كل مظاهر السلوك الحيواني .

المنارة للاستشارات

تعكس التربية الجنسية لأي مجتمع نوع الثقافة السائدة فيه بما في ذلك النموذج السلوكي الجنسي ، حيث أن أهم ما يميز المجتمعات (اختلافها وخصوصيتها) هو مستوى الضبط الاجتماعي الممارس على السلوك الجنسي. ويرى المتخصصون في ميدان التربية أن الأسرة أهم مؤسسة اجتماعية جديرة للقيام بهذه العملية . لكن في الواقع الاجتماعي يلاحظ تكتم الآباء والأمهات وتحفظهم بخصوص التربية الجنسية وكل ما يتعلق بها من : أسئلة الأطفال الجنسية ، احتلام الفتى ، حيض الفتاة...الخ ، بالمقابل فإن الأطفال و المراهقون يخضعون للترغيب مقابل الترهيب، بحكم وسائل الاتصال الحديثة والانترنت والمعلوماتية وبعض مصادر الكتب والنشريات والصور، فضلا عن الاستعراضات الخليعة والبرامج المنحرفة التي تعرضها بعض القنوات الفضائية والتي أصبحت سهلة المنال في أيدي الأطفال والمراهقين .

فمن المؤسف حقا أن تكون النظرة نحو التربية الجنسية مشوهة وفيها الكثير من المعلومات الخاطئة و الخرافات التي تساهم بشكل مباشر أو غير مباشر في انتشار العديد من الاضطرابات و الأمراض الجنسية والنفسية والاجتماعية . كذلك فمن وجهة النظر الدين الإسلامي تم تناول القضايا الجنسية في حياة الفرد ذكرا كان أو أنثى بصراحة فائقة ووضوح كامل ، وبطريقة منطقية عملية أخلاقية و تربوية يمكن توظيفها بصورة متدرجة وشفافة في استراتيجيات التربية الجنسية للنشء .

تمهيد :

يلعب الجنس دورا رئيسا في السلوك الإنساني ،فالإحساس الجنسي أصيل وعميق في الكيـان البشري ، وهو طاقة من أكثر الطاقات الموجهة لمشاعر الناس وسلوكهم .كما يعد الجنس من أهم مشكلات الحياة التي تصادف الفرد منذ طفولته ،فقد تؤثر المشكلات الجنسية في شخصية الفرد ، فتتدخل في نشاطه العقلي والانفعالي و

المنارة للاستشارات

الاجتماعي ، ويؤدي ذلك إلى الاضطراب النفسي و الوقوع في الانحرافات الجنسية . إن أهمية التربية الجنسية نابعة من مدى الارتباط الوثيق بين العامل الجنسي وبين العوامل الأخرى النفسية والاجتماعية والسلوكية والحضارية ، وهو ما يدل على الضرورة القصوى للتربية الجنسية .

1- مسؤولية الأسرة في التنميط الجنسي للطفل :

تقوم الأسرة بدور مهم ورئيسي في تحديد وتمييز سلوك الإناث عن سلوك الذكور، وتهيئة البيئة والظروف المناسبة لنمو كل من الجنسين وفق نمطه الطبيعي الفطري، وإعداده لدوره المرتقب، فكل فرد من نوعي الإنسان مستعد فطرياً "لاكتساب صفات معينة مرتبطة بنوع جنسه، فكل منهما يمتلك استعداداً بيولوجياً معيناً، والتربية على الذكورة أو الأنوثة ليست سوى تنميط اجتماعي لذلك الاستعداد، وغياب أي من الوالدين: سبب في عدم إتاحة فرص التنميط الاجتماعي المناسب لذلك الاستعداد البيولوجي الفطري؛ وذلك لأن الاستعداد والتهيؤ البيولوجي ليس كافياً بذاته لأن يكون محدداً للسلوك، كما أن العوامل الاجتماعية بمفردها لا تفسر التباين القائم بين الجنسين، فالطبيعة الأنثوية و الذكرية موجودة بالفطرة في طبع الفتاة و الفتى إلا أنها تحتاج إلى جو أسري طبيعي لنموها وازدهارها. فلو دُرِّبت الفتاة على سلوك الذكور نشأت عليه، وتخلَّقت بطباعهم من سيطرة و جرأة ونحوهما، وأصبح من الصعب عليها في المستقبل أن تمارس دوراً طبيعياً لأنثى كاملة. ونفس الشيء بالنسبة للولد فلو درب على سلوك الإناث نشأ عليه .

وكلٌ من الوالدين في الأسرة الطبيعية السوية له دوره التربوي في عملية التنميط الجنسي للنشء، فالأم تمثل لابنتها نموذجاً لدور الأنثى، والأب مع كونه يمثل هو الآخر نموذج الرجل لولده الذكر، فإن دوره يتعدى ذلك، وربما فاق دور الأم في عملية التنميط الجنسي ، فبقدر قيامه الإيجابي بالدور الذكوري، وتأييده لدور ابنته

المنارة للاستشارات

الأنثوي: تتمثل الفتاة دورها الأنثوي وتتأكد هويتها الجنسية، فتبدل هذه الأدوار بين الوالدين أو تداخلها: يؤدي عند النشء إلى حالة مرضية، فلا يتمتعون بنفس القيمة التربوية التي يتمتع بها أقرانهم في الأسر السوية، التي يمارس فيها كل من الوالدين دوره الطبيعي.(علاء الدين كفافي ،1998 ،ص ص80-83)

ومما تقدم يتضح دور الأسرة العضوية المتكاملة في بناء نفسية الفتاة والولد ، وتهيئتهما لدورهما الاجتماعي، وضرورة قيام الوالدين بأدوارهم الطبيعية المناطة بهم؛ لتحقيق نمو النفسي والجنسي نمواً سوياً موافقاً لطبيعة جنسهم.

أولى عمليات التربية الجنسية هي تطبيع الدور الجنسي والتي تعني العملية التي بواسطتها يكتسب الطفل المعايير و أنماط السلوك المنظور لها على أنها مناسبة لكل من الذكور والإناث في ثقافة ما . فقد يكون الميراث البيولوجي ذكريا و التصرفات والسلوكات أنثوية ، لأن التنشئة التي تعرض لها هذا الطفل طبعته بالصبغة الأنثوية وهو ما يطلق عليه اضطراب الهوية الجنسية ." يولد الأفراد ولديهم إمكانية الشدة و اللين و العدوانية أوالسلبية (الذكورة والأنوثة)، ولامناص من تعليمهم أن يكونوا مثل هذا الجنس أو ذاك."(سليم دولة ،1999 ، ص 22) فالأم هي معنى الأنثى بالنسبة للبنت و الأب هو معنى الذكر لدى الولد .

واضطراب الهوية الجنسية في الطفولة هو اضطراب يبدأ في الظهور عادة في مرحلة الطفولة المبكرة (ودائمًا قبل البلوغ بمدة طويلة)، ويتميز بضيق مستديم وشديد بشأن الجنس الفعلي، مع رغبة أو إصرار على الانتماء للجنس الآخر، ويكون هناك انشغال دائم بملابس أو نشاطات الجنس الآخر

أوكليهما مع رفض للجنس الفعلي. .

والسمة التشخيصية الأساسية هي رغبة عامة ودائمة عند الطفل للتحول إلى الجنس المقابل للجنس الفعلي (أو الإصرار على الانتماء إلى الجنس المقابل)، بالإضافة إلى

المنارة للاستشارات

رفض شديد لسلوك أو صفات أو ملابس الجنس الفعلي أو لهما جميعًا، وتظهر هذه الحالة أول ما تظهر بشكل نموذجي، أثناء
سنوات ما قبل المدرسة.

وتصبح الحالة جلية قبل الدخول في مرحلة البلوغ، وقد يكون هناك رفض للأجزاء التشريحية الخاصة بالجنس الفعلي. .

والأطفال المصابون باضطراب الهوية الجنسية ينكرون وبشكل متميز أن هذا الاضطراب يسبب لهم أي إزعاج، وذلك على الرغم من احتمال ضيقهم بالاصطدام مع ما تتوقعه عائلاتهم أو أقرانهم منهم، وبالسخرية أو الرفض الذي قد يتعرضون له. .

وما يعرف عن هذه الحالات أكثر في البنين منه في البنات، والنمط النموذجي هو أن يبدأ الأولاد من الذكور منذ سنوات ما قبل المدرسة بالانشغال بأنواع من اللعب والأنشطة الأخرى التي تمارسها الإناث بشكل نمطي ومتكرر، وكثيرًا ما يكون هناك تفضيل لارتداء ملابس الفتيات أو النساء، وقد تكون لديهم ، كذلك رغبة شديدة في المشاركة في ألعاب وهوايات الفتيات ، و لعبتهم المفضلة هي غالبا الدمية كذلك فإن رفاق اللعب المفضلين يكونون عادة من الإناث، ويبدأ النبذ الاجتماعي عادة أثناء سنوات الدراسة الأولى ويصل إلى ذروته غالبًا في مرحلة الطفولة المتوسطة في شكل سخرية مهينة من الأولاد الآخرين، وقد يقل السلوك الأنثوي كثيرًا أثناء بدايات المراهقة، مثلما قد يقل السلوك الذكوري في البنات أيضًا مع البلوغ. .

وكما هي الحال في الفتيان، تجد بين الفتيات مظاهر مبكرة للانشغال بسلوك يرتبط بشكل نمطي بالجنس المقابل، فالفتيات اللاتي يعانين من هذه الاضطرابات يتخذن رفاقًا من الذكور ويبدين اهتمامًا شديدًا بالرياضة واللعب العنيف، كما أنهن لا يبدين اهتمامًا بالدمى (العرائس)، وباتخاذ الأدوار النسائية في "ألعاب الخيال مثل لعبة البيت.

المنارة للاستشارات

والبنات المصابات باضطراب الهوية الجنسية لا يتعرضن عادة لنفس الدرجة من النبذ الاجتماعي مثل الأولاد، بالرغم من أنهن قد يعانين من السخرية في أواخر الطفولة أو المراهقة، وأغلبهن يتخلين عن إصرارهن المبالغ فيه على أنشطة وملابس الذكور عندما يقتربن من المراهقة، ولكن بعضهن يحتفظن بهوية الذكور وقد يتابعن التوجه باشتهاء الجنس المماثل .(جمعية الطب النفسي الأمريكية ،2004) .

ومن المعروف أن السلوك الذكوري من بنت يقبلُ في مجتمعاتنا أكثر من السلوك الأنثوي من ولد، ولعل هذا هو سبب عدم أخذ الأهل الأمر بصورة جدية في وقت مبكر، ونادرًا ما يصاحب اضطراب الهوية الجنسية رفض مستديم للأعضاء التشريحية الخاصة بالجنس الفعلي، ففي الفتيات يأخذ ذلك تأكيدات متكررة على أن لديهن قضيبًا، أو أنه سينمو لهن قضيب، وقد يرفضن التبول وهن جالسات أو قد يؤكدن على رغبتهن في ألا تنمو لهن نهود أو تكون لديهن دورة شهرية.

2- التربية الجنسية في الأسرة :

يكون موقف الطفل الأول من المسائل الجنسية كموقفه من جميع المسائل الأخرى ، فيفحص الأشياء ، ويلعب بها ،وبمجرد نمو قدرته اللغوية يكمل وسائل بحثه بالأسئلة التي يوجهها لمن حوله ، ولوالديه خاصة ، فهو يثق عادة في قدرة والديه وصدقهما ثقة مطلقة . فكما يضع يده في فمه ، وكما يعض إصبع رجله وهو مستلق على ظهره ، قد تمتد يده إلى بقية أجزاء جسمه ومن بينها أعضاءه لتناسلية والإخراجية، لذا كان اللعب في الأجزاء التناسلية عند الأطفال في أغلب الأحيان كأي نوع من أنواع اللعب. وحين يتقدم الطفل في السن يلاحظ الفروق بين الذكور والإناث ،الكبار والصغار ، الإنسان والحيوان، فيسأل أسئلة تتعلق بمنشئه ومنشأ إخوته ، ومنشأ والديه وغير ذلك من الأسئلة الكثيرة. وميل الطفل لاستطلاع المسائل الجنسية ميل

المنارة للاستشارات

طبيعي .ويقول في هذا الصدد فاخر عاقل : "الحق أننا يجب أن نكون حذرين فلا نستعجل فنحدث الطفل عن أمور ومسائل لم تخطر له في بال فنفتح عينيه – قبل الأوان- على أمور لا يهتم بها ولا تعنيه ، بل ننتظر الفرص التي تلوح من خلال سلوكه وتصرفاته فنغتنمها ونصارح الطفل بما يجب أن نصارحه به . على أنه لابد لنا في بعض الأحيان من استباق بعض الأمور وتهيئة الطفل لها كما هو الحال بالنسبة لمرحلة البلوغ ومشاكلها والأمر كله متروك لحسن تقدير المربي ولباقته في التصرف ." (1981 ،ص398) .

للأسرةِ دورٌ كبير ومتميز في تشكيل وبناء شخصية الطفل وأدوارهِ الجنسية ومن خلال الإجابات الأولية عن المسائل الرئيسية التي تشغل بالَ الأطفال أثناء مراحل نموهم المختلفة. ومن أمثلة الأسئلة التي يوجهها الأطفال إلى آباءهم وأمهاتهم خلال السنوات الخمس الأولى من العمر :

1. كيف يأتي الأولاد والبنات ؟
2. كيف يخرج الأطفال ؟
3. من أين يأتي الأطفال الصغار ؟
4. كيف يتكون الأطفال ؟
5. هل للأب دورٌ في تكوين الأطفال ؟

نجد أن الكثير من الآباء والمربين لا يجرؤون على مفاتحة أبنائهم ، ويفتقرون إلى العلم و المعرفة الحقيقية بالتربية الجنسية ، ويرون أن الإبن عندما يكبر سوف يتعرف على الكثير من هده الموضوعات ، فالأفضل أن لا يعرف هده الأمور مخافة أن يندفع نحو الانحراف والشذوذ الجنسي .

المنارة للاستشارات

إن وعي الأسرة بأهمية التربية الجنسية ،خاصة عند إجابة الوالدين أو أحدهما عن أول سؤال يتبادر إلى ذهن الطفل ،والذي يكون عن كيفية مجيئه إلى هذه الحياة وهو تساؤل طبيعي وضروري .

فغياب الوعي الوالدي في مكاشفة الأبناء وتوعيتهم للقيام بالدور الايجابي في تنمية الإدراك والفهم لتلك المنطلقات والتثقيف المبصر القائم على أسس علمية ومنهجية وواقعية ، والتعرف على علامات البلوغ ومظاهر المراهقة وتغيراتها الجسمية والجنسية والنفسية والعقلية والاجتماعية ، والمصارحة بعمليات الحمل والولادة والتعرف على الانحرافات والأمراض الجنسية التي تتسبب من جرائها ، بالإضافة إلى إن التهرب من المسؤولية تجاه مناقشة هذه الموضوعات وعدم تبيانها للنشء من قبل أولياء الأمور والقائمين على تربيتهم ، تدفعهم للحصول على هذه الإجابات والتساؤلات من مصادر أخرى كالرفاق والإعلام وهو الأمر الذي يدفعهم في الكثير من الأحيان للوقوع في مشكلات وانحرافات جراء التعامل مع الدوافع الجنسية دون وعي وإدراك .

كما أن النمو الجنسي من الأمور المهمة في مرحلة المراهقة لما يحدث فيها من تحولات في اكتمال نضج الوظائف الجنسية ، مما يشعر المراهق بالتناقض ما بين ظهور هذه الدوافع ، ووجود موانع تكبح جماح هذه الشهوة ، مما يسمعه أو يلمسه من التكتم على موضوعات الجنس ، ونظرة المجتمع إليه ، بالإضافة إلى الضوابط الشرعية والأخلاقية والاجتماعية على النشاط الجنسي .

ويرى زريق معروف أن التربية الجنسية لاتهدف إلى إعطاء معلومات فقط إنما تتعدى دلك إلى إعداد الشباب للتعامل مع مراحل حياتهم بنجاح ، مما يزودهم بالخبرات الجنسية والاتجاهات العاطفية السامية والعادات الصحية المفيدة ، حتى يشعر الطفل

المنارة للاستشارات

أن كل عضو من جسمه له أهميته وفائدته ، ويجعله يفتخر بجنسه ، ويدرك الغاية السامية لوجود الدافع الجنسي .(زريق معروف ،1986 ، ص117)

تتم عملية التربية الجنسية في البيت من طرف الوالدين و بقية الأهل و تكمن أهمية السنين الخمس الأولى التي يقضيها الطفل في البيت،و التي يزيد فضوله أثناءها و قابليته للكلام و السؤال،حيث يكون التطبيع الاجتماعي (Socialisation) أشد كثافة وتركيزًا في مرحلة الطفولة المبكرة عنه في أي مرحلة أخرى.

تبدأ التربية الجنسية منذ الولادة ،إذ يدفع حرمان الطفل من الحنان والعاطفة الحميمية للوالدين لنشوء مشاكل نفسية وجسمية،فعن طريق حب واهتمام الوالدين يكوّن الطفل مفهوماً إيجابياً عن نفسه:"أنا شخص محبوب من طرف الآخرين " أو سلبياً : "أنا شخص غير محبوب لذا يجب عليا الحذر من غدر الآخرين "(Anne Bernstein,1977)مع تقدم الطفل في السن و احتكاكه بهذا الوسط الأسري تقوى مداركه،و يحاول معرفة المزيد عن الظواهر و فهم ما يحيط به عن طريق الملاحظة فهو شديد الانتباه لما يدور حوله من سلوكات،أين تظهر اهتماماته بالمواضيع ذات الصبغة الجنسية في سن مبكرة فيطرح أسئلة كثيرة ويطلب الإجابة دائما عنها،على سبيل المثال:لماذا لدى أبي لحية و أمي لا؟ لماذا تتبول البنات قاعدات و الذكور بالوقوف؟ من أين يأتي الأطفال؟ ...إلخ،و لا ييأس من ذلك .يبدأ الطفل في السؤال عادة ابتداءًا من السنة الثالثة من عمره،تكون أسئلته في البداية بسيطة لكنها لا تلبث أن تتعمق و تتزايد أكثر فأكثر .إذا ما تقدم الطفل في السن سأل أسئلة أكثر تعقيدًا و طالب بأجوبة أكثر دقة .إنّ سؤاله مثلاً الذين يطرحه في سن الثالثة عن المكان الذي جاء منه الوليد الجديد و الإجابة عنه بأنّه ولد من بطن الأم .يصبح في سن السابعة أو الثامنة من وضع الطفل في بطن أمه؟ في هذه الحال لن تجدي الإجابة عليه بأنّ الله هو الذي فعل ذلك،لأنّ الطفل سيكشف أنّ الكبار يخفون عنه شيئًا مهمًا من حقه معرفته لأنّه يعلم أنّ لكل ما

المنارة للاستشارات

يحدث سببًا،و هو بدافع الفضول و حب الاطلاع سيعمد لتقصي هذه الأسباب و الحقائق (فاخر عاقل ، 1981) .

فبداية لكي يتقبل الشخص نفسه ويثق بها يجب أن يتقبل شكله وجنسه أولاً،كما أنّ لردود فعل الآخرين تجاهه دور كبير في إحساسه وشعوره تجاه نفسه وهو عامل مهم في تقديره لذاته ، لكن الأمر يصعب كثيراً بالنسبة للطفل الذي يفضّل والداه الجنس المغايّر وهذا ما ينعكس بالسلب على تقبله لجنسه سواء كان ذكراً أو أنثى ."الفرد يولد ذكراً أو أنثى ولكن يكتسب خصائص الأنوثة أو الذكورة فيما بعد ،فدور الجنس Gender Role متعلم ولكن هذا لايعني أن الدور الأنثوي أو الذكري يمكن تعلمه ببساطة وبطريقة متساوية من الجنس الآخر .فالطفل يولد ذكراً أو أنثى ومن ثمّ يتهيأ للإستجابة للتوقعات الثقافية الملائمة ،فالثقافة تكشف بالفعل الميول القائمة لصور التوجيه الرسمية القائمة في المجتمع."(سناء الخولي ،1983: 42-43)،فحصول الفرد على هويته الجنسية :النمط الجنسي

"Sexual Stereotype" لايتم سوى عن طريق مروره بمراحل عديدة لنموه النفسي الجنسي أين تتعقبه عدة أزمات من أهمها عقدة أوديب ، كما أنّ لنوع العلاقات التي يجدها داخل الأسرة دور أساسي لأنّها تحدّد صورة ، ودور وسلوك كل جنس .

للرعاية الجسدية للطفل والاهتمام بنظافته علاقة مباشرة بتكون الهوية الجنسية لديه. تدريب الطفل على المحافظة على نظافته (قضاء الحاجة)مجال هام أين يبدأ الطفل يكوّن اتجاهه عن ذاته وجسمه ،إذ يعتبر الطفل الصغير فضلاته جزء من جسده ، فإذا ما تكون لديه عن طريق عملية التنشئة الاجتماعية في محيطه إحساس بأنّ عملية التبرّز أو التبول أمر قذر ومنفّر يترسّخ هذا الاتجاه بداخله ويكوّن إحساس بأنّ عضوه الجنسي أيضاً قذر وغير مرغوب فيه ،لأنّه وحسب Warren Gadpaileفي كتابه المراحل الجنسية :"Cycles of sex" يتم دائماً ربط إسم الأعضاء الجنسية بوظيفتها

المنارة للاستشارات

الأولية (التبول) وهذا في لغة الأطفال الصغار والرضّع ، كما ترى وفي نفس السياق "Selma Fraiberg " أنّ الأطفال الذين يغضب آباؤهم ويشمئزون من رؤيتهم يعبثون بأعضائهم الجنسية أو يكشفونها يتكون لديهم إحساس بأنّ أعضاءهم الجنسية سيئة وغير مرغوب فيها ممّا يؤثر في تقبلهم لجنسهم وثقتهم في أنفسهم (Anne Bernstein ,1979)

يعتبر الأطفال الصغار في أولى مراحل عمرهم أنّ الآخرين يشبهونهم تماماً ولا يختلفون عنهم في شيء لحين رؤية واكتشاف أجساد الآخرين خصوصاً الأعضاء الجنسية للجنس الآخر، كما هو الحال عند الاستحمام مع الأخت مثلاً، في هذه الحال يبدأ الطفل في طرح التساؤلات عن سبب الاختلاف في الأعضاء التناسلية بين الجنسين . و الشيء الخطير هو شعور الكبار بالخوف من أن تثار رغبات أبنائهم الدفينة و يوقظوا فيهم الميل الجنسي و الرغبة الجنسية الجامحة،ممّا يدفعهم ظنًا منهم بأنهم يحافظوا على طهارة و براءة أبنائهم،بأن يعطوهم إجابات خاطئة،و محرفة بقصد تشتيت انتباههم تجاه الأمور الجنسية و لفت انتباههم لأمور أخرى،و هو نوع من الضغط لاحتوائهم،كما لسياسة السكوت عن الحقائق الجنسية تأثير سيء و كذلك الكذب على الأطفال في هذا المجال،لأنّ الأطفال بصفة عامة يبحثون عن الحقيقة و يحاولون إيجادها بسرعة أكبر ممّا يعتقده الآباء و بعد أن يكتشفوها فإنهم يتوقفون عن طرح الأسئلة على آبائهم .فعن طريق احتكاكهم مع غيرهم من الرفاق و الزملاء في الدراسة مثلاً يتعلم الطفل أو المراهق الكثير من المعلومات ويكتسب التجارب"وفي حال لم يطرح الأولاد أسئلة عن بعض المواضيع فذلك لأن الكبار عادة و بدون أن يتذكروا ذلك قد رفضوا إجابتهم،كما أن الكبار قد يعطون أحيانا إجابات متناقضة،و من هنا يشعر الأولاد عادة بالممنوع أو المحرم أو ما لا يجب تخطيه،في حين يعتمد أولاد آخرون عدم الاتكال على الكبار وأنّه لا يجوز التكلم عن الجنس إلاّ بكل رصانة

المنارة للاستشارات

وإخفاء ما تعرف إليه الولد حول هذا الموضوع من الكتب أو من الرفاق عن الأهل" (موريس شربل : 42) .

إنّ عدم الإجابة عن أسئلة الطفل الملحّة يولد لديه فقدان الثقة في أسرته و نفسه ممّا ينجر عن ذلك أمراض نفسية و آثار سلبية في مراحل العمر اللاحقة،فتربية الطفل ليكون صحيحًا جنسيًا مهمة صعبة، لكونها تهدف لتكوين الإنسان الذي تكون لديه المعرفة السليمة بنفسه كذكر أو كأنثى،فقد اتضح من الدراسات النفسية المتعدّدة أنّ الأطفال يتشوقون للمعرفة الجنسية بقدر لا يقل عن المراهقين و البالغين لكن الفرق في هذا الصدد بين الأطفال و غيرهم هو فرق في نوعية المعرفة التي تليق بالطفل و نوعية المعرفة الجنسية التي تقدم له ."و ينشأ الانحراف الجنسي Sex-Perversion في مرحلة الطفولة نتيجة تربية غير رشيدة تنزع نحو الإشباع الشديد لهذا الدافع أو كفه كفا عنيفا،و الانحراف الجنسي،إنّما هو حيود جنسي يستهجنه المجتمع" (عباس محمود عوض ، 33:1988) .

و في دراسة ميدانية للحرش محمد (1982) في كل من الجزائر و العراق حول مشكلات المراهقين في البلدين وجد أن حوالي 9.79 % من أفراد عينته و المتمثلة في 600 طالب ثانوي في الجزائر،و نسبة

10.59 % من أفراد عينة العراق (600 طالب ثانوي) لا يعرفون المصدر الذي ينبغي استقاء المعلومات منه عن الجنس (مصطفى عشوي ، 1994) .فمسؤولية التربية الجنسية للأطفال مسؤولية مشتركة بين الأب و الأم بهدف تكوين الشخصية المتزنة و العضو الفعّال .حيث يتكون لدى الطفل اتجاهًا إيجابيًا سليمًا لا اتجاهًا سلبيًا مشوهًا إزاء الأمور الجنسية،فما من أحد يحضر الطفل للبلوغ أفضل من أهله،و تزداد أهمية التربية الجنسية أيضا في فترة ما قبل البلوغ،باعتبار الفتى و الفتاة مقبلان على مرحلة جديدة و هامة من حياتهما و هي البلوغ ،إذ لاتجاهات الوالدين نحو التغيرات

المنارة للاستشارات

الفيزيولوجية التي تطرأ على أطفالهم خلال هذه المرحلة دور مهم في تكوين جنسيتهم وتقبلهم لذواتهم ، و من أمثلة ذلك: معنى الحيض عند الفتاة،احتلام الفتى،و حقيقة العادة السرية و عواقبها و ما إلى ذلك من أمور تتصل بالجنسية. (André Berge , 1965)، وحسب Anne Berstein(1979) فإنّ العادة السرية "Masturbation "ما هي سوى وسيلة يستكشف بها الصغار (الأطفال والمراهقين)ذواتهم وجنسيتهم فهي طبيعية في هذه المرحلة وليست دليل على انحراف أو شذوذ ،وهذا ما أكدّه فرويد S.Freud(1905) من قبل عن علاقة دور الأم أثناء عملية تنظيف الأعضاء الجنسية للوليد بتكون العادة السرية لديه، وذلك كرد فعل طبيعية لجسم الصغير الذي هو في طور التكوين والنمو للمثيرات الخارجية (لمسات الأم) وشعوره باللّذة ،فتنمو جنسيته حسب درجة ونوع العناية والاهتمام اللذان يتلقاهما من أمه .كما لاتجاهات الوالدين نحو كشف أجسادهم أو جزء منها أمام الطفل أثر بالغ الأهمية على النمو الجنسي لهذا الأخير ،فإذا ما أظهر أحد الوالدين أو كلاهما انزعاجاً وقلقاً عندما يصادف أن يراهم الطفل بدون ملابس يترسّخ لدى الطفل في هذه الحال فكرة أنّ هناك شيء مقرف وقذر في جسم الإنسان ، لذا يعمد دائماً لإخفائه ،فالأمر يتعلق هنا أكثر بإحساس الوالدين وسلوكهما ،فالمشاعر والأحاسيس التي تنتقل للطفل هي التي تلعب الدور الأساسي لأنّها هي التي ترسخ فيه إمّا ثقته في نفسه وتقبله لذاته أو العكس شعوره بالقلق وعدم الثقة .وفي حال ما دخل الطفل الصغير غرفة الآباء صدفة ووجدهما يمارسان الجنس قد يعتقد أنّ هناك عنف يمارسه الأب على الأم ويؤذيها هذا ما قد يدفعه للبكاء يحدث نفس الأمر كذلك في حال ضيق المسكن أين تكون فرص الاحتكاك بالآباء كبيرة (Nefissa Zerdoumi,1979) .كما أنّ الآباء لا يحاولون إيضاح الأمر وإعطاء تفسير بسيط في حدود إمكانيات طفلهم حتى وإن طلب هو ذلك،معتبرين أنّ الإبن لم يفهم شيئاً وأنّه سرعان ما سينسى الأمر نهائياً، في

المنارة للاستشارات

حين يرى علماء النفس والأطباء النفسانيون أنّ رؤية الطفل لوالديه يمارسان الجنس يعرضه لصدمة نفسية قد تبقى آثارها راسخة فيه مدى الحياة ،وتتمثل في خوف أو تقزز واشمئزاز من العمل الجنسي حيث أنّ كثيراً من حالات الشذوذ الجنسي و البرود الجنسي كان سببها رؤية الوالدين يمارسان الجنس في سن الحداثة (André Morali-Daninos,1968)

و لكي تتم هذه التربية في ظروف حسنة وجب على الوالدين أن يكونا مثالاً لأبنائهم أين يجد هؤلاء (الأبناء) النموذج الصالح لكلا الجنسين لكي يتقمصوه و يتوحدوا به،في جو ملائم من الأمن،الحب،و الحرية،لهذا فالأسرة هي المؤسسة أو الوسط الاجتماعي الأولى بهذه التربية لأنها تراعي دائمًا النمو المعرفي و النفسي للطفل فهي الأدرى بقدراته و إمكانياته للاستيعاب و الفهم لمثل هذه الأمور و هو ما يساعد الفرد منذ الصغر على التحكم في ميوله الجنسية و توجيهها لأهداف فردية و اجتماعية أسمى (تكوينه هو الآخر أسرة بدوره) ."تندمج التربية الجنسية تقريبًا بالتربية العامة و ربما لا تتميز إلاّ بالطريقة التي تعالج بها المشكلة نستطيع تعريفها كأنها تركيب وسائل تهدف إلى تسهيل الاستخدام الأفضل للقوى التي تعتمد ديناميكيتها على غريزة التناسل .يجب أن يبقى جزء من هذه القوى في خدمة الوظيفة الجنسية لكي تبقى ممارسة هذه الوظيفة طبيعية،ليس ذلك بسبب المحافظة على بقاء النوع و لكنه أيضًا من أجل خير الجماعة .أجل إنّ العمل الجنسي يشكل صلة اجتماعية مهمة و له قيمة أساسية" (أندريه بيرج ، 19:1982) .

لكنه ليس من السهل دائمًا على الآباء الإجابة عن تساؤلات الأبناء المتعلقة بالقضايا الجنسية،خصوصًا إذا كانوا هم بدورهم نشأوا في جو أسري و وسط اجتماعي يعتبر مثل هذه الأمور من المحرّمات أو التابوهات:"Tabou"، فكثير من الآباء يجدون صعوبة جمّة في الحديث عن الجنسية وما يتعلق بها لأبنائهم ، وذلك نظراً لكونهم هم

المنارة للاستشارات

أنفسهم لازالوا يعانون من صراعات نفسية لها علاقة بنموهم النفسي الجنسي في مرحلة الطفولة ،وهو مايجعل الكثير منهم متخوف من هذا الجانب ومتردّد حول كل ما يتعلق بالتربية الجنسية ، فاستعمال وسيلة التخويف و الشعور بالذنب إزاء كل ما يتعلق بالغريزة الجنسية –أهم مكون من مكونات الشخصية و ديناميكيتها– منذ أولى سنوات الصبى أين لا يكون الطفل قد اكتسب حتى القدرة على تمييز السلوك الخاطئ من السلوك الصحيح،ينجر عنه اضطرابات نفسية و انحرافات جنسية و مشاكل عديدة في الحياة الجنسية و الاجتماعية فيما بعد. فالمشكل يكمن في الخوف من تحريف الفهم الصحيح للطفل والناشئ حول موضوع (التربية الجنسية) ممّا يترتب عليه نتائج وخيمة هذا من جهة و من جهة أخرى الخجل من الأمور الجنسية المرتبطة مباشرة بفكرة الذنب، رغم أنّه يحدث وفي كثير من الأحيان أن يتعرض أبناءهم لإغراءات وضغوطات جنسية كثيرة من طرف أشخاص أكبر منهم سناً. فالسبب الذي يدفع لمعارضة التربية الجنسية هو الإعتقاد في أنّ الأطفال الذين يكوّنون معرفة عن الجنس سوف يحاولون ممارسته ،لكن الحقيقة هي أنّ الجهل بالأمور الجنسية هو الذي يدفع لسلوكات غير مسؤولة بدافع الفضول والتجريب ، كثير من الآباء يعمدون للتهرب من هذه المسؤولية اعتقاداً منهم بأنّ لهذه العملية نتائج مدّمرة على أبنائهم لأنّها تزيد من إثارتهم و توقظ فيهم الرغبة الجنسية في سن مبّكرة ،ووفق دراسة ل: Sol Gordon(1977) فإنّه أقل من20 %من الشباب الذين تمّ استجوابهم فقط صرحوا بأنّهم تلقوا نوع من التربية الجنسية في أسرهم .

"و لعل التعتيم على الحياة الجنسية بشكل مبالغ فيه هو الذي يؤدي إلى انتشار الأحاديث المكذوبة،و إلى انتشار بعض الخرافات المتعلقة بليلة الزفاف أو "ليلة الدخلة"،و ما يصاحب ذلك من خوف و رهاب للعروس و العريس و خاصة من احتمال فشل الطرفين أو أحدهما في إظهار "النضج" أو "الرجولة" أو "الأنوثة" و من

المنارة للاستشارات

احتمال التعرض لمشكلة "الربط" بالنسبة للذكور أو "الإغلاق" بالنسبة للإناث ..." (مصطفى عشوي ، 92:1994).

و حسب بول شوشار "Paul Chauchard" في التربية الجنسية كل شيء يأتي في أوانه،فالطفل ليس بحاجة إلى معرفة تفاصيل العلاقة الجنسية،يجب الأخذ بعين الاعتبار الاستفسارات و التدخلات المشروعة مع تجنب الوقوع في التابوهات،مع أخذ أيضًا بعين الاعتبار لما هو سائد و مكشوف في الوسط الاجتماعي،يتم ذلك عن طريق شرح وافي و تلقائي بدون شعور بالضيق والتردّد للقضاء على الإغراءات و خطر الوقوع في الخطيئة بدافع التجريب .و يقول في هذا الصدد فاخر عاقل:"الحق أننا يجب أن نكون حذرين فلا نستعجل فنحدث الطفل عن أمور و مسائل لم تخطر له في بال فنفتح عينيه –قبل الأوان– على أمور لا يهتم بها و لا تعنيه،بل ننتظر الفرص التي تلوح من خلال سلوكه و تصرفاته فنغتنمها و نصارح الطفل بما يجب أن نصارحه به .على أنه لابد لنا في بعض الأحيان من استباق بعض الأمور و تهيئة الطفل لها كما هو الحال بالنسبة لمرحلة البلوغ و مشاكلها و الأمر كله متروك لحسن تقدير المربي و لباقته في التصرف" (398:1981) .

المرحلة الأولى تتم في الوسط العائلي و تسمح بتقبل الفرد لنوع جنسه و فهمه لدوره في إطار جنسه دون الدخول في التفاصيل المعرفية الخاصة بالأجهزة التناسلية و فهم ابتدائي لما يميز الإنسان و الحيوان ظاهريًا،وإعطاء المفاهيم الأولى لمعنى الخير و الشر،ليس كتابوهات،ولكن باتجاه إنساني الذي يعتبر مصدر الأمان و السعادة،و ما هو غير إنساني مصدر التوتر للفرد و الجماعة،إنّه من هذا المنطق تفوق العلاقات الاجتماعية الخاصية الجنسية ممّا يساعد على التوازن النفسي و الجنسي فيما بعد (الموضوع الجنسي يكون الجنس الآخر)،لأنّ الانحرافات الجنسية مردّها و أساسها يكون في هذا المستوى .كما يرى بول شوشار: "Paul Chauchard"أنّه لا يجب انتظار مرحلة البلوغ

المنارة للاستشارات

للتطرف لهذا النوع من المعرفة (التربية الجنسية) لأنّ الفرد يكون مشحون بطاقة جنسية هائلة،لكن في السن التي تسبق هذه المرحلة (ما قبل المراهقة)، حيث تطرح الأسئلة بصفة طبيعية و تلقائية (Paul Chauchard , 1957) .و حسب أندريه بيرج: "André Berge" (1968) التربية الجنسية ليست مشكلا حديثا يطرح نفسه بل هي موجودة دائما و في كل المجتمعات،فالمشكل ليس في التربية الجنسية في حد ذاتها و لكن المشكل الذي يطرح نفسه هو هل يجب إعلام الأطفال بما يتعلق بالجنسية أم لا؟

كل الأطفال دون استثناء يحصلون على تربية جنسية في عائلاتهم .إخبار الطفل مثلا أنّ الصغار يأتون من السماء،أو عن طريق القابلات ...ما هو في حقيقة الأمر سوى ممارسة للتربية الجنسية .الإجابة عن تساؤلات الأطفال حول منشأ الإنسان و كيفية ولادته بأنّ ذلك أمرًا معقدا جدًا يفوق قدراتهم العقلية و أنّ ذلك يتسنى لهم خلال سن معيّنة (سن الرشد) عن طريق الأطباء و رجال الدين وذلك عند الإقبال على الزواج تشكل أيضًا تربية جنسية للطفل،كذلك رفض إجابة الطفل عن تساؤلاته يعبّر عن تربية جنسية لأنّ مجرد الرفض يحمل ضمنيا نوع من الإجابة و هي أنّ في الأمر شيء لا يريد الكبار البوح به و هو بالتأكيد شيء فظيع و قذر،ربّما أخطاء يرتكبها الأولياء،فالمهم بالنسبة للأولياء هو تأخير ظهور الاهتمامات الجنسية أو منعها من الظهور باعتبارها خطرا على الصغار و المراهقين .هذا لا يعني التساؤل هل من المستحسن إخبار الأطفال أم لا؟ لكن الإشكال يكمن في ما يجب معرفته:هل يجب أن تكون التربية الجنسية قائمة على الحقيقة كما هي أو العكس منسوجة من الأكاذيب والخيال البعيد عن الواقع؟

و قد قام هنري تافوالوت:"Henry Tavoilot" في كتابه:تجربة للتربية الجنسية:" Une expérience d'éducation sexuelle" بتحديد و شرح اتجاهين مختلفين للتربية الجنسية :

المنارة للاستشارات

حسب الاتجاه الأول (المحافظ):يرى في موضوع الجنس شيئًا مقلّلا من قيمة الإنسان ومرتبته الاجتماعية، حيث يعتبر ذلك مصدرًا للفوضى و الاضطراب .يرى هذا الاتجاه أنّ الفرد متحكم في شعوره و إدارته (لا يعترف باللاشعور) و يهدف لتربية مثالية،يستعمل في أغلب الأحيان أساليب القمع،و الزجر و التهديد لخلق حواجز مادية و أخلاقية أمام الشباب لا يمكنهم تجاوزها،أو و في أحسن الحالات تحاول لفت انتباهه لأشياء و اهتمامات أخرى غير الجنس .

الاتجاه الثاني:و هو الاتجاه المعاكس للأول،يهدف لنزع كل الحواجز و الموانع التي تقف حائلاً أمام الفرد دون تحقيقه لرغباته وحاجاته الجنسية(الحرية الجنسية)،ومن وجهة النظر هاته فإنّ الفردمهماكانت حريته الجنسية فإنّ علاقاته الجنسية محدّدة،لأنّه يعيش داخل مجتمع ومقيد بساعات العمل والدراسة إضافةً لحرية كل طرف في اختيار الطرف الآخر و قبول ربط علاقة معه،يتم ذلك تحت رضا الطرفين وبنفس الدرجة من الإشباع دون أنانية لأنّ هذه الأخيرة تقلّل من الحرية الفردية (Henry Tavoilot , 1969) .

و وفق دراسة بول دورمينق "Paul Durming" (1994) في كيبك "Quebec" تحت عنوان:

"Un projet pilote sur la communication parent adolescents" حول أهمية التربية الجنسية في الأسرة تبين منها أنه منذ بداية الثمانينات عرفت نسبة الحمل غير الشرعي لدى المراهقات ارتفاعًا محسوسًا خاصة من هن أصغر سنًا،فمن 1980 لغاية 1989 انتقلت نسبة الحمل لدى المراهقات من 12.5 إلى 17.3 لكل 1000 مراهقة، تراوحت أعمارهن بين14و17سنة، أي ارتفاع قدر ب:38 %، هذه الوضعية لها عدة انعكاسات سلبية –انتشار الفقر و التسرب المدرسي– على المراهقين خصوصًا الذين ينتمون لأوساط اجتماعية متدنّية .

المنارة للاستشارات

لذا يرى بعض المنظرين أنّ التربية الجنسية في البيت داخل الأسرة تعطي نتائج أفضل وتكون أكثر فعاليّة لأنّه لا أحد يعرف الطفل ونمو قدراته الذهنية و الانفعالية أكثر من والديه فهم أعلم الناس بحالته النفسية و متى يجب ذلك لأنّهم الأقرب إليه من جميع الأفراد الآخرين سواء في المدرسة أو في الشارع .

3- التحرش الجنسي بالطفل في الأسرة :

تتعدد أنماط العلاقات القرابية التي يحرم الارتباط بها جنسيا ، وتنقسم إلى عدة أقسام ، فالمحرم قد يكون مقربا جدا كالأب والأم والأخ ، ومنهم من يكون بعيدا مثل العم الخال والجد ،هذا ما جعل الباحثين الأنتروبولوجيون يفرقون بين الأقارب الخطيين (المباشرين) مثل :الأب و الابن أو البنت، والأم والابن أو البنت، والأقارب المجانبين (غير المباشرين)مثل أبناء الأخ ، وبنات الأخ .(محمد الجوهري ،1998 ،ص 51)

يتخذ زنا المحارم في الأسرة ثلاثة أنواع ، فهناك : الاعتداء عن طريق الثقة ، حيث يثق أحد الطرفين في الطرف الثاني من المحارم ،ما يجعله يوافق على هذه العلاقة خصوصا إذا كان أحد الطرفين محترما و يحضا بمحبة الجميع أو بمحبة المحرم .

الاعتداء عن طريق القوة ، فأحد الطرفين يخضع للطرف الثاني خوفا من سيطرته وهيبته خصوصا إذا كان عضوا مؤثرا في الأسرة كالأب أو الأخ الأكبر .

أما النوع الثالث فهو زنا المحارم برضا الطرفين و برغبتهما المتبادلة .

ويتصف المعتدي على المحارم بالانطوائية والبرودة في حياته الاجتماعية خصوصا مع الشريك الآخر إذا كان متزوجا ،إضافة إلى أن الخمر من أهم الدوافع التي تؤثر على اغتصاب المحارم .(القاطرجي نهى ،2003 ،ص 343)

المنارة للاستشارات

وقد يحدث الاعتداء الجنسي في الأسرة على الطفل نتيجة ازدحام المسكن ونوم أفراد الأسرة في حجرة واحدة ، فيحدث أن يضاجع الأب زوجته (الأم) على مسمع وربما على مرأى من الأبناء ليلا .

كما قد تكون الأم عاملا مساعدا بتسترها على الجريمة ،فتوصف في هذه الحالة بالتواطؤ ،فهي لا تعلم ما يحدث إلا في وقت متأخر ولا تتملك الجرأة الكافية للمواجهة أو الإبلاغ ، وقد تعلم بالعلاقة لكن تخاف من تبعات الكشف عنها كالطلاق أو الحرمان من المورد المادي ، فتفضل السكوت ، خاصة إذا كان لديها أبناء آخرون ." ففي حال اعتداء الأب على ابنته فإن الأم تلعب دورا مشاركا في الجريمة فالزوجة التي يكرهها الزوج و تكون ذات شخصية ضعيفة ،وتكون عادة مدمنة على الشرب ،تعامله باستعلاء ، وترفض أن تقوم بعلاقة جنسية معه ، وتساهم الأم أحيانا في تنمية هذه العلاقة عن طريق التغيب الدائم عن المنزل للعمل أو لأسباب أخرى وفي بعض الحالات يكون الغياب عاطفيا ."(القاطرجي نهى ، نفس المرجع السابق،ص344)

تعد الاعتداءات الجنسية تجاه الأطفال تجربة قاسية تؤثر على بنية شخصيتهم عندما يرشدون ، فتحدث عدة أعراض و آثار (اضطرابات جسمية ، اضطرابات في الوظائف الفكرية والإبداع ، اضطرابات سلوكية) . وتتمثل أكثر الآثار تكرارا فيما يلي :

– عندما يصحب العلاقة بعض القبول من طرف الضحية يبدأ يعيش في حالة من الاضطراب و المشاعر المتناقضة ، كالحيرة والخلط بين الدور الفعلي لمحرمه وصلة القربى معه ،وبين ما حدث بينهما ، وتزداد المخاوف مع مرحلة البلوغ و الانتقال إلى المراهقة بسبب الخوف من فقدان البكارة .

المنارة للاستشارات

- تظهر أعراض جسدية يشكوا منها الأطفال ضحايا الممارسة المحرمة مثل: آلام البطن ، الإثارة و التهيج في الأعضاء الجنسية ، اضطرابات النوم ... ويصاحب هذا العديد من الحالات ، تكرار الكوابيس ، والتأخر المدرسي، و اضطرابات في التغذية.(لطفي عبد العزيز الشربيني، 1996، ص 81)

ففي حال كون الضحية فتاة ، فهي ترفض ما يقوم به محرمها وفي نفس الوقت لا تريد أن تفقده لأنها تحبه هذا في حالة ما كان مقربا منها كالأب ، ومشاعر الرفض والقرف التي تواجه بها الفتاة هذه العلاقة يحل معها الاستسلام ، وتنحدر في أعماقها مشاعر العجز والقلق ، لكنها لا تجرؤ على مواجهة المعتدي ،فالأب الذي من المفروض أن يحمي ابنته من الأخطار يصبح هو المعتدي ،هذا التناقض بينه وبين ما تتلقاه الطفلة في أسرتها ومحيطها الاجتماعي يزيد في حدة الصراع والألم النفسي الذي تعيشه الفتاة بالإضافة للآثار الجسدية التي يخلفها " فالتعليم الذي تتلقاه الطفلة في المجتمع العربي عبارة عن سلسلة من التحذيرات المستمرة من الأشياء ، يفترض أنها مؤذية وضارة أو ممنوعة ومحرمة ، أو مخزية وشائنة ، أو مارقة على الدين ، لهذا تتدرب على كبت رغباتها ثم تفريغ نفسها من الرغبات والاحتياجات الأصلية و الحقيقية المرتبطة بذاتها لتملأ الفراغ الناتج برغبات الآخرين ... والبنت التي فقدت شخصيتها وعقلها وقدرتها على التفكير بشكل مستقل سوف تفعل ما يأمرها به الآخرون ، وتصبح دمية في أيديهم و ضحية لقراراتهم ."(بينار إلكاركان ، 2004 ، ص328)

يمكن وصف تطورات الأعراض النفسية والجسدية للأطفال من ضحايا الممارسة الجنسية من طرف المحارم كما يلي :

- مرحلة بداية الممارسة الجنسية وتتميز بالسرية حيث يمكث الطفل تحت الخوف والتهديد حتى لا يفشي سر العلاقة ، فسكوته يكون خشية العقاب .

المنارة للاستشارات

– في المرحلة الثانية يستسلم الطفل للاستمرار في هذه الممارسة دون مقاومة فيعتقد الشخص البالغ أو الطرف الثاني في العلاقة أن الطفل موافق ، وعدم المقاومة من طرف الطفل يرجع إلى الخوف من فقدان الأمن في الأسرة و خضوعه للتهديد .

– في المرحلة الثالثة يتعايش الطفل مع هذه العلاقة التي لا مفر منها ، لكن يتملكه شعور بالغضب وعدم الرضا ، فيترجم هذا الإحساس في صورة سلوك تدمير الذات الذي يعبر به الطفل عن كراهيته لنفسه ، وفي هذه المرحلة تنحدر ثقته بنفسه وتتراجع قدرته على النمو.

– في المرحلة الرابعة يحدث الصراع الذي يؤدي إلى افتضاح الأمر في النهاية ، فتنكشف العلاقة التي تكون قد دامت في بعض الأحيان لسنوات طويلة ، ويقابل انفجار واعتراف الضحية عدم تصديق الأسرة واللوم لعدم الإبلاغ المبكر .

– في المرحلة الأخيرة يحدث الانسحاب أو التراجع عن الاستمرار في الممارسة بعد الإعلان ، وحدوث ردود فعل مختلفة تؤدي في النهاية إلى إعادة صياغة العلاقات بين أفراد الأسرة . (لطفي عبد العزيز الشربيني، 1996 ،ص 81)

تجربة الاتصال الجنسي التي أرغم الأطفال على القيام بها مع البالغين من أفراد عائلاتهم المحارم تولد لدى أغلبهم من الجنسين شعورا بالتقزز والعيب و الاشمئزاز تجاه الجنس ، كما تؤثر على حياتهم الجنسية في المستقبل ، وقد تحدث انحرافات جنسية بسبب هذه التجربة المؤلمة .

4– الأحكام المتعلقة بالجنس والتربية الجنسية في الإسلام :

الإسلام يتضمن تشريعا شموليا يغطي مختلف نواحي الحياة « ما فرطنا في الكتاب من شيء» (سورة الأنعام، الآية 38). كما أنه تشريع واقعي قابل للتطبيق في كل مكان وزمان، وعلى رأس مصادر هذا التشريع القرآن الكريم والسنة المطهرة. وقد تطرق

المنارة للاستشارات

كلاهما إلى الجنسية في مختلف مراحلها ابتداءا من أبسطها كالتمييز بين الذكر والأنثى وميول كل منهما إلى الآخر فطريا، إلى الحمل والولادة وما يترتب على ذلك من مسؤوليات.ووضح العلاقات المشروعة وغير المشروعة، وعاقبة كل منها .

فلا شك أن الإسلام اعترف بالجنس عند الإنسان ،ومما يؤكد اعتراف الإسلام بهذه الميول :

أ- شرع الزواج تلبية لهذه الدوافع واستجابة لهذه الميول.

ب- حرم الرهبانية .

ج- اعتبر تصريف الشهوة بالحلال من الأعمال الصالحة التي تستحق المثوبة والأجر.

د- أعطى الحرية للزوجين في الممارسة الجنسية ما دام الإتيان في موضع الحرث .

الإسلام لا يلغي الحديث عن جانب النمو الجنسي ، بل يبين متى يبلغ الإنسان وأمارات ذلك لدى كل من الرجل والمرأة، ففي الرجل.. الاحتلام، وإنبات شعر العانة، وفي الأنثى كذلك مع حدوث الحيض .. وجعل الإسلام لذلك أحكاماً وآداباً تضبط مسار هذا الأمر وتحفظه.

الإسلام يضبط التعامل مع هذا الجانب لدى الإنسان من ناحيتين:

أولاً – الأحكام: خاصة مسائل الطهارة وضرورة تعليمها للصغار في بداية حياتهم.

ثانياً – الآداب: ولا سيما في الأسرة، خاصة في الأماكن التي هي فطنة تحريك غرائزهم.. أو وقوع أعينهم على أمور تشغلهم وهم بعد غير مهيأين لها، ومثال ذلك أحكام الخلاء، من التستر والذكر والاستنجاء والاستحمام، كذلك أحكام الدخول والاستئذان، خاصة بعد البلوغ.

الإسلام لا يلغي الشهوة، بل يضبطها ويوجهها.. ولذا يلاحظ أن الإسلام أمر بالزواج باكراً حين البلوغ وحث عليه.. إلا أن طرقنا التربوية ، والتعليمية بل والبيئة هي التي تؤخر الزواج وتكوين الأسرة.

المنارة للاستشارات

يلاحظ أيضاً أن الإسلام يشدد على مسألة حفظ حرمات الأشخاص وأعراضهم من رجال أو نساء،وجعلها من الكليات الخمس ، ويبيّن خطورة ذلك على المجتمع وأثره، ورتب على ذلك عقوبات شديدة حتى يحفظ الإنسان هذه الطاقة ويصرفها المصرف الحلال، وهي واضحة ميسّرة، ولذا على جميع المربين والأسر والمؤسسات الرسمية الاهتمام بتلبية هذه الرغبة باكراً وتسهيل أسبابها. الحذر من تعريض النشء إلى مواطن إلهاب المشاعر وتأجيج الشهوة بالإعلام ووسائل التقنية المختلفة.

نجد أن توجيهات الدين الإسلامي تبدأ منذ المراحل الأولى من عمر الإنسان ومن الأسباب التي يتخذها الأب لحماية الأولاد داخل البيت: تعليمهم آداب الاستئذان التي تحميهم من احتمال وقوع أعينهم على ما يثيرهم جنسياً، كما تحميهم من أن تُشغل عقولهم بقضايا متعلقة بالجنس لا يجدون لها تفسيراً، لضعف عقولهم، وقلة خبرتهم بهذه الشؤون ونظراً لأهمية هذا الأدب الإسلامي، فقد ورد ذكر الاستئذان وآدابه في القرآن الكريم، حيث حدد الله أوقات الاستئذان، والأوقات التي لا يُشرع فيها استئذان، فقال سبحانه وتعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلاةِ الْعِشَاءِ ثَلاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} [النور:58]، وهذا الأدب يخص الخدم المملوكين، والأطفال دون سن التكليف أي قبل البلوغ. فهم مأمورون بالاستئذان قبل الدخول على أهل البيت من الأم، أو الأب، أوالأخوات، أو غيرهم. قال جابر رضي الله عنه: ((يستأذن الرجل على ولده، وأمه وإن كانت عجوزاً وأخيه وأخته وأبيه)). وهذا الاستئذان يكون في الأوقات المتوقع انكشاف العورات فيها، والتخفف من الملابس، وهي: ((حين الاستيقاظ من النوم، وحين إرادة النوم، وحين القائلة)) وفي غير هذه الأوقات يحل

المنارة للاستشارات

للطفل المميز الدخول على أهل البيت دون استئذان، ولكن يستحب له إلقاء السلام؛ لقوله عليه الصلاة والسلام لأنس بن مالك: ((يا بني إذا دخلت على أهلك فسلم يكون بركة عليك وعلى أهل بيتك)). فمن بركات هذا السلام: مزيد من الحيطة، وإشعار لأهل البيت بالقدوم.

لقد تميز الإسلام بشموليته في الطرح لكافة جوانب حياة المسلم حتى قبل أن يولد حين اهتم بالزواج والتناسل ولم يتحرج عن التطرق إلى كل ما يشغل تفكير المسلم في أمور حياته الخاصة. إنه أمر فعله رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ حين علم الصحابة والصحابيات بلغة راقية وبأسلوب بسيط لا إفراط فيه ولا تفريط كل ما يتعلق بالأمور الخاصة جدا لأن الجنس جزء من الحياة اعترف به الإسلام ووضع له الأطر الصحيحة للتعامل معه، وكانت أموره تناقش علناً في مجلس الرسول الكريم وقد فرق الرسول-ص- بين الخطاب الموجه إلى البالغ والطفل حين حدد سن التكليف بالبلوغ وأشار إلى خطورة مرحلة الطفولة الوسطى والمتأخرة قبل قرون عدة حين قال الرسول -ص-((مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين واضربوهم عليها وهم أبناء عشر وفرِّقوا بينهم في المضاجع)). والجزء الأخير من الحديث وهو "فرقوا بينهم في المضاجع" نابعٌ من تطور النمو الجنسي في هذه المرحلة والتي تعد نقطة تحول من الكمون الجنسي إلى حالة النشاط الجنسي والذي يبدأ مع مرحلة البلوغ، حيث نجد أن الأطفال حينما يصلون إلى سن العاشرة يكثر لديهم حب الاستطلاع عن النواحي الجنسية والفسيولوجية كما وأن الانتباه في هذه المرحلة يزداد وتزداد دقته الأمر الذي يساعده على إدراك الاختلاف بين الأشياء وإدراك الشبه أيضاً بينها. نتيجة لهذا فإنه يستطيع أن يقدم تفسيراً بسيطاً للأمور، وهذه صورة راقية من التفكير لم نكن نلحظها في المراحل السابقة من النمو.إن هذه الفترة هي فترة ميل إلى الأمور الجنسية

المنارة للاستشارات

والتعرف عليها والعبث بها وهذا جعله الله تعالى ليكون تمهيداً لمرحلة البلوغ والتي يمكن أن تحدث فيها عملية الزواج.

لم يغفل الإسلام الجانب الجنسي لدى الإنسان فقد تحدث عنه القرآن بأسلوب مهذب جميل قال تعالى : (نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُواْ لأَنفُسِكُمْ) البقرة 223، وقال تعالى : (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُواْ النِّسَاء فِي الْمَحِيضِ وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللهُ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ) البقرة 222 ، وقال سبحانه : (أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ) البقرة 187، وقال جل شأنه : (أَوْ لاَمَسْتُمُ النِّسَاء) النساء 43، والمائدة 6، وقال سبحانه : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاء ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) النور 58 ،وقال جل ذكره : (أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَى) القيامة 37 ، وقال سبحانه : (فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفاً) الأعراف 189، وقال جل جلاله (وَلاَ تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ) البقرة 187، و قال أيضاً : (مَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ) البقرة 197 .

وفي السنة إشارات نحو الفعل الجنسي بطريقة مهذبة فقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال : (وفي بضع أحدكم صدقة) رواه مسلم ، وقال أيضا : (إذا أتى أحدكم أهله فليستتر) رواه ابن ماجه والطبراني ، وقال : (لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال : بسم الله ...) رواه البخاري ومسلم ، وقال : (إذا جامع أحدكم أهله فليصدقها) رواه ..... ،

المنارة للاستشارات

وقال عليه السلام : (ولك في جماعك زوجتك أجر) رواه أحمد والنسائي وغيرهما ،والأحاديث في هذا كثيرة جدا من هذه الأدلة والتوجيهات في تأصيل التربية للمسلم والمسلمة في جانب هام من حياتهما ، وهو التثقيف الجنسي المنضبط .

5-التوصيات والاقتراحات :

1- إقامة البرامج التثقيفية خاصة الإرشاد الزواجي للمقبلين على الزواج ،مما يسمح للشاب والفتاة بتحمل المسؤولية في تكوين الأسرة .والعمل على إقامة مكاتب للإرشاد النفسي ومكاتب الخدمة الاجتماعية لما لها من أهمية كبيرة في تثقيف وتوجيه وتغيير المفاهيم الخاطئة بخصوص التربية الجنسية ، والعلاقات العاطفية وكذلك علاج الاضطرابات الأسرية .

2- حب الوالدين لطفلهم وتقبلهم له و الاهتمام به ودعمه عاطفيا بدلا من الرفض يساعده أن يكون آمنا ،سعيدا في حياته .

3- تحسين المناخ الأسري وتدعيم العلاقات الأسرية ،وحل المشكلات بين أفراد الأسرة والتخلص من التوتر الانفعالي ،وحل الصراعات للوقاية من التفكك الأسري والاضطراب داخل الأسرة .

4- التثقيف الموجه والمعلومة الصحيحة وكلاهما لن يتم إلا في جو حميم من الصداقة مع الطفل / الطفلة منذ أيامه الأولى ، ومنحه الثقة بنفسه وبوالديه ، وإشعاره بالأمان في أن يسأل ويعرف ويتطرق لكل الموضوعات مع والديه .

5- ومن الإجراءات الصحية النفسية العامة لتحقيق النمو النفسي الجنسي السليم والمنسجم للطفل: تربية التعيين الذاتي المناسب عند الطفل لجنسه و إكساب الطفل السلوك المطابق لجنسه (تنمية الرجولة والأنوثة لدى الجنسيين على المستويين السيكولوجي و الاجتماعي).ومن الواجب أن تتشرب جوانب التربية الجنسية كلها بالقواعد والمبادئ الأخلاقية .

المنارة للاستشارات

6- طرح الطفل للأسئلة ذات العلاقة بالحياة الجنسية ظاهرة صحية يجب أن لا تثير القلق لدى الأهل .و التصرف السليم هو الإجابة بما يتناسب مع المرحلة العمرية التي يمر بها الطفل ، وقدرته على الفهم والاستيعاب .ومن المهم جدا اختيار الأسلوب الأنسب لطريقة الجواب وشرح الأمور، وللوصول إلى ذلك يستحسن إعطاء الطفل الفرصة الكافية للتعبير عن تصوراته. وذلك بأن نقول له : ما رأيك أنت ؟...كيف تظن أن ذلك يحدث ؟...وهكذا. فمن الضروري في هذه المرحلة تنفيذ الأمور التالية :

- عدم نهر وزجر الأبناء إذا سألوا عن الأمور الجنسية .
- الجواب يجب أن يكون صحيحا حتى ولو لم يكن كاملا .
- عدم الاستهتار بالسؤال بل أخذه بكل جدية و التعامل معه على أنه ظاهرة صحية .
- عدم تحوير سؤال الطفل وأخذه كما هو .
- كما يمكن الاستعانة بأهل الاختصاص والخبرة لضمان الطريقة المثلى للجواب .
- إشراك الطفل في الحوار لمعرفة ما عنده من معلومات .

7- توعية الطفل بضرورة أن يروي للوالدين كل غريب يتعرض له ، مع تعويده على مسألة رواية أحداث يومه لأسرته بانتظام وبصورة يومية .

8- إشعار الطفل/ الطفلة بالأمان التام في أن يروي تفاصيل أي موقف دون عقاب أو زجر، لأن أسلوب التلقين وإصدار الأوامر والتعليمات الذي يعتمده الكثيرون مع أبنائهم لا يعطيهم الفرصة الكافية للتعبير عن أنفسهم ، وبالتالي يتعذر معرفة كمية المعلومات التي تلقاها الطفل ، ومقدار ما استوعبه منها ، ومدى قناعته بما تلقى ، وبالتالي مدى الالتزام المتوقع منه والفائدة التي حصلت .

9- ملاحظة الطفل باستمرار- دون إشعاره بالرقابة الخانقة – ومتابعة ميوله في اللعب ، وطريقة وأنواع لعبه ،وحماية الطفل من مشاهدة قنوات فضائية أو مجلات أو أي مواد إعلامية غير مناسبة ، مع غرس وازع رفض كل مالا يحبه الله .

المنارة للاستشارات

10- لا ينصح بالتأخير في التثقيف الجنسي حتى دخول الطفل مرحلة المراهقة ، لأن الطفل إذا دخل مرحلة المراهقة مال إلى الاعتماد على الأصدقاء ، ووسائط المعلومات غير المأمونة ، والأشخاص الآخرين أكثر من اعتماده على الوالدين. فإذا لم تكن جسور الثقة والانفتاح للحديث في مثل هذا الموضوع قد ترسخت بعد ، فهذا يعني أن احتمالية الانفلات تكون كبيرة.

11-تعليم الطفل خصوصية أجزاء جسمه وطريقة الحفاظ على سلامتها ...وهكذا حوار آخر حول أجزاء الجسم بشكل عام بداية من العين والرقبة والرأس ، والأذن والصدر ، وكيف أنها أجزاء جميلة وظاهرة من جسمه وأنها تختلف في الرجل عن المرأة ،ثم يتم لفت نظره بشكل غير مباشر إلى أن أعضاءه التناسلية هي من أعضاء جسمه التي يملكها وحده ،وينبغي أن يحرص على نظافتها وسلامتها .

12- الحاجة إلى أساليب أخرى مدعمة ،غير الحوار والحديث المباشر كمقالة أو بحث أو كتاب منضبط بالإضافة إلى رأي ذوي الخبرة والاختصاص .

13- من الأفضل أن تتولى الأم تعليم البنت وتوجيهها من الناحية الجنسية لأنها تمثل النموذج الذي تتوحد وتحتذي به ، والأب يتولى تعليم الولد .

14- وأخيرا تجدر الإشارة إلى ضرورة تنظيم برامج خاصة بالآباء و الأمهات. يتعلمون من خلالها:

التعريف بالأساليب التربوية الإيجابية والفعالة التي تقوي أواصر الأسرة ونظامها .

فهم مراحل نمو الطفل و طبيعة كل مرحلة .

نفسية الطفل وكيف يفكر.

ميول الطفل ورغباته.

أسلوب التعامل الأمثل مع الطفل واكتساب ثقته .

طرق إجابة أسئلة الطفل وكيفية تقديم المعلومات الجنسية و الأوقات المناسبة لذلك .

المنارة للاستشارات

قـائمـة المـراجـع

1- باللغة العربية :

1- **القرآن الكريم**

2- أبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري الجعفري : **صحيح البخاري** ،دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع ، عين مليلة ، 1992 .

3-أندريه بيرج (تر :موريس شربل):**التربية الجنسية عند الولد** ، منشورات عويدات ،بيروت ط 1 ،1982 .

4-القاطرجي نهى :**الاغتصاب،دراسة تاريخية نفسية اجتماعية** ، بيروت ،المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر والتوزيع ،ط 1 ،2003

5-بينار إلكاركان :**المرأة والجنسانية في المجتمعات الإسلامية** ،تر: معين الإمام ،بيروت، دار الهدى للثقافة والنشر ، 2004

6- جمعية الطب النفسي الأمريكية : **المرجع السريع إلى الدليل التشخيصي و الإحصائي الرابع المعدل للإضطرابات النفسية و الأمراض العقلية** ، تر:تيسير حسون ، سنة الطبع 2004

7-زريق معروف : **خفايا المراهقة** ،دمشق ، دار الفكر،1986 .

8-سناء الخولي :**الزواج والعلاقات الأسرية** ، دار النهضة العربية ، بيروت ،1983.

9-سليم دولة: **الثقافة الجنسوية الثقافية ، الذكر و الأنثى ولعبة المهد** ،سوريا ، مركز الإنماء الحضاري ، ط1 ، 1999

10-عباس محمود عوض :**الموجز في الصحة النفسية** ،دار المعرفة الجامعية ،الإسكندرية ، 1988

11- علاء الدين كفافي :**رعاية نمو الطفل** ،القاهرة ، دار قباء ، 1998

المنارة للاستشارات

12-فاخر عاقل: **التربية قديمها وحديثها** ،بيروت ، دار العلم للملايين ، ط3، 1981.

13-لطفي عبد العزيز الشربيني ،" الإرشاد النفسي للأطفال المساء معاملتهم "، **مجلة الثقافة النفسية المتخصصة** ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت ، العدد السادس و العشرون ،المجلد السابع ، نيسان 1996.

14-مصطفى عشوي : **مدخل إلى علم النفس المعاصر** ،ديوان المطبوعات الجامعية 1994،الجزائر ،

15-محمد الجوهري : **دراسات أنتروبولوجية معاصرة** ، الإسكندرية ،دار المعرفة الجامعية 1998

16-موريس شربل :**التربية الجنسية** ، دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ،بدون تاريخ.

2-**باللغة الأجنبية** :

17-André Morali-Daninos :**Sociologie des relations sexuelles,**3éd P.U.F, Paris , 1968

18-André Berge **:L'éducation sexuelle chez l'enfant**, P.U.F,Paris 1965

19-Anne Bernstein : What you tell your child about Sex without saying a word **,Human Sexuality 81/82 annual editions**,6th ed,The Dushkin Publishing Group ,Inc.Sluice Dock , Guilford ,1979

20-Henry Tavoilot : **Une experience d'éducation sexuelle**,P.U.F Paris, 1969

21-Paul Chauchard :**La vie sexuelle de l'instinct à l'amour ,** P.U.F ,Paris , 1957 .

22-Paul Durning ,Jean-Pierre Pourtois :**Education et famille** , université de Boeck .Wesmael, Bruxelles,1994

المنارة للاستشارات